لقاء واحد

قصة قصيرة

من وحي شمسي وروحي حمامتي كاملتي

هو

الصف طويل أمام شباك الجوازات، أعداد هائلة من المسافرين. أختلط مسافري الترانزيت بمسافرين الوصول. لكنه لم يكن ترانزيت فهو أخيراً راجع لدياره ووطنه.

بعد غربة شاقة جعلت السبعة أيام تبدو كأنها دهر. زادت عليه ألمها ابتعاده عن عشيقة روحه وتوأم وجدانه. رغم أنهم كانا يتبادلان الرسائل بصورة شبه يومية، لكن كيف يشفي غليله أقل من حضورها!

لم يصدق نفسه لحظة ما أخذ حقيبته من على السير، فمشى منتفخاً كأنه ظافراً، فهو سعيد الحظ الذي سيقابل حمامته قبل هؤلاء البؤساء المنتظرين بشقاء أمتعتهم!

ما أن عبر الجمارك شعر كما لو كان وصل إلى القرن الواحد والعشرين. فبدت زيارته كما لو كانت للعصور الوسطى عبر الزمن حين كانت كلمات مثل الاستنارة والفهم تعد أشرس تجديف.

اختلطت المشاعر داخله بين الراحة لوصوله والإشفاق على أهل بلد زيارته. أخذ ينظر في بحر الوجوة المنتظرة خلف الحاجز، والوجوة تحاول أن تخطف نظرة على حبيب قادم من بعيد أو غريب يبحث عن سنيد.

في لحظة توقف الزمن، وأمست كل الأمور بيضاء وما عداها ذهب في الخفاء. لمعت عينان وسط البحر المزبدِ، بريق لا ينسى ولا إلى ألف عام. إنه الفجر، إنه الصباح، إنها الأمل إذا لاح.

هي

استعجلت زملاتها بالعمل، فإنها تخشى التأخير، ولا تريد أن الفراق يزيد. أنهت بمهارة فائقة كل المعاملات الضرورية، وفوضت آخرين للقيام بالأمور الباقية. كانت محطتها قبل الأخيرة زيارة مرفق السيدات، بسرعة أزالت تعب يوم طويلٍ ولّى وجهزت نفسها لتبدو في أبهى طلة.

خطفت حقيبتها وتوجهت للمطار بأسرع ما أوتيت من قوة، تسابق الدقائق والثواني. امتزجت بالجو رطوبة وحر غير متوقع مع صياح وأعصاب سائقين مشحونة، لكنها لا تملك رفاهية التفكير في سوء الحالة المرورية وتردي الأخلاق السوقية. حاولت إلتقاط أنفاسها وسط هذا الجو المكتوم، فليس هذا وقت إصلاح الحالة المرورية أو إلقاء لوم.

جرت على الشاشات تبحث عن طائرته، وصلت!

هل تأخرت؟ أين هو؟ هل فاتها لحظة اللقاء؟ وجدت الحائط البشري المنيع يعلن عن باب خروج الواصلين. حاولت التسلل وسط الجموع مستغلة قامتها القصيرة. ما أن أمسكت بالسور المعدني في آخر البحر البشري حتى ما شعرت بالارتياح وأمان الشاطيء بعد الصراع مع بحرٍ عاصف.

لم تدري هل مرت ثواني أم ساعات، لكن ما أن تبينت هيئته حتى هرب الهم مع الرياح. المسكين يتقدم حائر خائر القوى، وتعلوه آثار إنهاك شهور رغم أن الوقت لم يطول! إتخذت القرار، سوف تصعد على الحاجز كالمنارة تعلن شط الأمان. أمسكت

بالحاجز ولازالت عيناة تتفرس في الحائط البشري يمين ويسار. قبل أن تصعد بأول قدم فوق الحاجز تثبتت عيناه، نعم! نعم! العينان تلاقيا.

واحد

لم يدري أحدهم ماذا حدث في اللحظات اللاحقة، فقط أنهما يواجهان أحدهما الآخر وجهاً لوجه بعد طول أنتظار.
لا يدري ماذا حدث لأمتعة سفره، لكن سقطت عن كتفه حقيبة اليد وتعب السفر وجرى بكل ما أوتي بقوة فاتح ذراعيه. هي شعرت بالسرور أنها لم تأخذ الحقيبة الكبيرة ذات اللون الأحمر الداكن وأختارت السروال الأسود خفيف الحركة، لم تدرك من قبل أنها تستطيع الركض بهذا الكعب العالي، لكن بالطبع هذا السباق لم يكن في الحسبان.
ذراعة المفتوحة وجدت جائزتها عندما قفزت بينهما وأحكمت قبضتها خلف عنقه، رفعها بسهولة عن الأرض، أقل شيء بعد كل التدريب وسط الصناديق طوال الأسبوع الماضي. أحكم قبضته خلف ظهرها ثم تقهقر إلى الوراء تحت ثقل أشواقه. توجه بأنفه خلف أذنيها يريد أن يشتمها وشعرها، كمن يصحو من كابوس على إبهى جنة أو كمن وجد غنيمة. خاف أن يسحقها بقبضته ولكنه لن يرخيها. أغرقها بقبلاته في كل موضعٍ طالته شفتاه منها. تلك الآذان المثيرة، ذلك العنق العاجي، يقف لحظات ليشتم عطرها ثم يكمل المسيرة. يتوجه إلى أعلى بقبلاته على الخدود الحمراء مثل الرمان حتى يصل إلى جبهتها الشامخة ويشعر بفضلها عليه، إنها تلك الرسائل التي أنقذته من وهدة الوحدة والشقاء في أرض العناء. من جبهتها توجه مرة أخرى إلى أسفل من بين عينيها إلى أنفها اللطيف الذي كثيراً ما ظُلم منها ولكنه أحبهُ من أول نظرة. ما أن وجدت شفتاه شفتاها حتى أخذ يتذوق حلاوتها، أطبقا فيهما على بعضهما وتوقف الزمن.

حان وقت الرحيل، راح هو يلملم أمتعته وهي تحاول جاهدة أن تلملم شعرها، يبدو أن قبضته إنتقلت من خلف ظهرها إلى عنقها، داعبت أنامله ذقنها ثم شفتيها فخدودها وأخيراً أُحكِمت قبضته على شعرها. لم تهتم كثيراً بكيف تحركت يداه مثلما لم تهتم متى سقطا على الأرض، المهم حان وقت الرحيل.
أمسك بأمتعته بيده اليسرى و على كتفه وهي تبطأت ذراعه اليمنى بكلتا ذراعيها وأحكمت تشابك أصابع يديها الدافئة في يديه. لا تدري كيف يركبون السيارة ولا التفاصيل اللوجيستية. المهم تشابكت الأيادي ولا أحد يدري متى تشأ الأقدار أن تفصل ثانياً بينهما.